حكمة غاندى

وضع أحد كتاب اليونان الشباب ترجمة للهاتما غاندى أسماها « الحياة المقدسة » ونحن نقتبس منها هنا حديثا لغاندى يقارن فيه بين عصر الآلة وبين الحياة فى عصر الصناعة اليدوية التى يحدثنا عنها فى تأثر وحنين :

كانت حياتنا فى الازمنة الخالية ، قبل أن يحل بيننا هذا الوحش وأعنى به الآلة ، حياة انسانية جميلة . فقد كان عندنا متسع من الوقت للتفكير والخلو الى النفس فى المعابد صباحا ، وتحت ظلال الاشجار فى هجيرة الظهر ، وفى أفنية المنازل مساء ، حتى فى أوقات العمل ونحن جلوس الى المناسج أو قائمون فى المزارع نفلح الارض ، نجد الوقت للانشاد والتوجه بأرواحنا الى ملكوت الجمال والحق .

أما اخواتنا فانهن قبل الشروع فى اعمالهن فى الحقول ، يضفرن اكاليل الزهر ويعلقنها على قرون البقر ، فلم يكن للزمن عندنا فى يوم من الايام من المعنى ماله اليوم عند الاوروبيين . ولم يعلمنا واحد من حكمائنا هذا المبدأ المنكر « الوقت من ذهب » فلم نكن من الهيام بالذهب بحيث نضحى كل وقتنا من أجله . لأن العمل فى اعتقادنا هو خلق الجمال والتوجه بأرواحنا الى الله

وإنى لأذكر أن أبوى فى صغرى أخذانى معهما لأشهد كيف يكون بدء اشتغال الفتى بصناعة أبيه . فقد كان الفتى أول الامر يمضى للاغتسال فى النهر ليكون لجسمه طهارة نفسه . ثم تأخذه أمه الى المعبد . ويكون أبوه وشيوخ القرية فى انتظاره حول النار المقدسة وعند ذاك يسأله أبوه :

— أتريد استئناف صناعتى ؟ أتريد أنت أيضا أن تصبح حدادا ؟

— نعم يا أبت .

ثم يقسم اليمين المفروضة .

« أقسم بالنار ، وباجدادى ، وبالله الحى القيوم ، أنى راغب فى ان أكون حدادا ، وانى راغب فى خلق الجمال والمنفعة للناس ،

واذ ذاك يقدم له أبوه « أخوته الصغار » ويعنى بها الادوات ، لأنها له بمثابة الخلان الأوفياء فى حياته العاملة الكادحة .

ويتناول الفتى محراك الجمر والمطرقة والكير والميدع من أدم وهو يتناولها بحنان كأنها احياء ، ويقول مجددا يمينه :

« أقسم أنى لاأدنس هذه الادوات . وانما استخدمها فى خلق الجمال والمنفعة للناس »

ثم يستطرد غاندى فى ذكرياته :

لقد عرفت العهد السعيد الذى كان فيه ناسجو الشيلان مثلا فى عداد الفنانين ، أى صنو المثالين والرسامين سواء بسواء .

وكانوا يجلسون صيانهم حول المنسج يمسك هذا كبة الصوف الازرق ، والآخر الاحمر ، وذاك الصوف المعصفر ، وذلك الاخضر ...

وفى صباح كل يوم قبل البدء فى العمل ، يرفع المعلم الشيخ عصاه . فيسود السكون مطلقا شاملا . هذه آونة التأمل ، ثم تعقبها الصلاة . فيبتهلون الى الله ان يعينهم على صنع ماهو جميل ونافع للناس . فاذا فرغوا من الصلاة ، أخذوا فى الانشاد على فريقين سائل ومجيب :

— ماذا تنسجون ؟ ننسج السماء ونجومها

— ماذا تنسجون ؟ ننسج الارض وزهرها

— ماذا تنسجون ؟ ننسج البحر وحيتانه وسفائنه

والصبيان يداولون خيوط الصوف ، كل فى دوره ، فى حركة موزونة موقعة . والمعلم جالس فى وسطهم يضبط الايقاع ، وينظم بعصاه الصغيرة حركة الذهاب والاياب للخيوط المتداولة زرقا وحمرا وخضرا . . فتولد شيئا فشيئا قطعة موسيقية من النسج عجيبة التأليف من الشيات والالوان .

ويتجدد هذا العمل كل يوم بين الصلاة والانشاد

وبعد أسابيع ثلاثة يتم الشال . واذ ذاك يستعرضه كل صبى ويقلبه بين يديه معجبا بجماله ، هذا صنيعهم اجمعين . وهم يحبونه كأنه مخلوق حى لا تقوم نفاسته بثمن ، فيرمقونه طويلا بانظارهم ، ويمسحون عليه بأيديهم ، ولا تكاد تطاوعهم أنفسهم على التخلى عنه

ويقول المعلم الشيخ : — هيا اطلقوا عليه اسما

فيقول الشيخ : بل نسميه « البهيج » أليس هو وليد البهجة وصنع الفرحة والحبور ؟

فيهتف الجميع استحسانا ، ويمضى الشال فى طريقه الى الدنيا الواسعة ، ويأخذ المعلم وصيانه من جديد فى عملهم . وهكذا فى كل ثلاثة أسابيع يطلعون الدنيا بآية جديدة

عبد الرحمن صدقى